

صوم رمضان

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

- ٣ -

ومن الزهاد من عاف اللذائد لأسماء الناس كما فعل الأمام
على (ع) لم يشأ أن يتمتع نفسه باللذات لأنه رأى أنه إن فعل ذلك
توسع الولاة ومن يبدم امر الأمة الإسلامية في البذخ والنميمة حتى
يرهقوا الرعية كما فعل من بعده الأمويون والعباسيون وانباعهم -
فزهدهم ليسعد الناس، بل أنه أخذ وولاته بالزهد وترك الأتقياء لأطبايب
الأطمعة كما فعل في استنكاره على واليه على البصرة عندما سمع بأقباله
على الولاة الشبهة فحذره من سوء المصراع بكتاب وأنذره
ومن الزهاد من عاف اللذات تدينا ناسياً أن الشرائع شرعت

لأسماء الناس فمن اتبهم - رضى الله عنه لأنه عمل لأسماء عباده
وان الله لم يجعل تمذيب النفوس سبيلاً لرضاه ...

وكان السكبيون من فلاسفة اليونان يملكون الناس ان الآلهة
منزهة عن الاحتياج، فخيركم من تخلق بأخلاق الآلهة فقتل من
حاجته جهد الطاقة وقنع بالقليل ونحمل الآلام واستهان بها واحتقر
القنى وزهد في اللذائد. ومن أشهر رجال هذا المذهب (ديوجانس
السكبي) مات سنة ٣٢٣ ق م وقد كان يعلم اصحابه ان يتركوا
التكاف الذي اقتضاه اصطلاح الإناس وأرضاعهم، وكان يلبس
الخشن من الثياب وبأكل ردى الطعام وينام على الأرض ويرى
مع باقى الفلاسفة السكبيين ان السعادة في الفرار من اللذة وتقليلها
جهد الطاقة وهذا افراط تأباه الشريعة الإسلامية. العملية
التي سارت المدنية والعلم وطبقت في مختلف بقاع الأرض فنجحت
من صحراء الحجاز ونجد اليمامة الى فردوس الأندلس وجنوبي
إيطاليا وصقلية وغربي فرنسا وجنوبها، الى جنان مصر والعراق
وسوريا وإيران وتركيا، الى ما وراء النهر والهند والتبت وزنجبار

ذلك قول القائل:

وقطائف رقت جـوماً مثل ما غلظت قلوباً فهى لى أحساب
تحلو فائملو ويشهد قطرها الـ فياض أن ندى على سحاب
ففى البيت الأول يصور القطائف رقيقة تكاد تشف عما
تحتمها. وقد بولنم في حشوها. والبيت الثانى تصد به المدح بالكرم
لا أقل ولا أكثر.

ومنهم من جمع بين الكفاة والقطايف، ومن ذلك قول القائل
وقطائف مقرونة بكفاة من فوقفن السكر الدرور
هـ اتيك تطرفنى بنظم رائق ويروقنى من هذه المنثور
والظاهر أن المائدة التي جلس عليها هذا الشاعر كانت في
منزل أحد الأغنياء لأنها جمعت بين الكفاة والقطائف، وهذا لم
يكن متيسراً في ذلك الوقت إلا للاعيان وأصحاب الجاه. وقد
رقص الشاعر طرباً، وكاد يطير من الفرح والسرور حينما رأى
الكفاة وبجانبه القطائف. فأخذ يمد يده إلى هذه مرة وإلى تلك
أخرى حتى ملا معدته.

محمد سير كبلانى

أما القطايف فقد عرفت منذ العصر العباسى؛ وجاء ذكرها
في شعر ابن ارمى وكشاجم وغيرها. ومنهم من شبهها بمحقات
من الطاج، ومنهم من شبهها بوصائف قامت بجنب وصائف.
ومنهم من شبهها وقد رست في الأطباق بالمصلين الذين يسجدون
وراء الامام. فالشاعر الذى يقول:

لله در قطائف محشوة من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت في صحنها بمحقات عاج قد حشين زرجدا
راعى المنظر العام لهذه القطايف ورأى أن كل واحدة منها
تبدو في شكل حق له لون الماج بداخله حشو يشبه الذهب
الخالص. والشاعر الذى يقول:

وقطائف محشوة بلطائف طافت بها أكرم بها من طائف
شبهتها نضدت على أطباقها بوصائف قامت بجنب وصائف
لم ينظر إلى لون القطائف ولا الى شكلها ولا الى ما حشيت
به بل نظر إلى الطريقة التي وضعت بها في الطبق ولذلك قال.
«شبهتها نضدت على أطباقها»

ومنهم من تناول القطايف ولا هم له إلا التلاعب بالألفاظ
وأظهار القدرة على استخدام المحسنات اللفظية والمنوية. ومثال

قال الطبرسي من القرن السادس الهجري في (مجمع البيان في تفسير القرآن) ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه اليهم فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا - ظاهره الأمر والمراد به الأباحة لان تناول المشهي لا يدخل في التمسيد وقيل انه امر في وجهين احدهما يأكل الحلال والآخر بالأكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس. قال القاضي وهذا مما يمرض في بعض الاوقات وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق .

واقول ان من ينتبه الى ما قيد به الصوفية انفسهم وحرموا عليها ما اباحه الشرع الشريف من اطيب الطعام والشراب استصوب حمل (كلوا) على الأمر الأبيح لهؤلاء الذين ضلوا عن سواء السبيل وتكبروا نهج الطريق وكانهم تأثروا بما نقل الى اللغة العربية من انكار الوثنيين من اليونان كالكلبيين أو من اديان الأمم غير المسلمة كالبراهمة من الهند ثم حوروا تلك الفاسقات وفق تعاليم الإسلام وحوروا الإسلام قهبا فنشأت ضلالات الصوفية وأباطيلهم وضاع جمال الإسلام شريفة الممران العملية. ومن وجهة ثانية لقد نهى الإسلام ان تندفع وراء اللذات اندفاعاً اعمى فقد تعودنا الى المهالك. ونبراس ذلك الآيات الكريمة (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى) (افرايت من اتخذ له هواءه) قال الطبرسي في مجمع البحرين أي ما تميل اليه نفسه والهوى مصدر هويه اذا احبه واشتهاه ثم سمي به الهوى أي الشيء المشهي محموداً أو مذموماً ، ثم غلب على غير الحمود وقيل فلان اتبع هواه اذا أريد ذمه سمي بذلك لانه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى الهاوية اي جهنم قال تعالى (واما من خفت موازينه فانه هاوية) قيل هاوية من اسماء جهنم وكأنها النار العميقة يهوى اهل النار فيها مهوى ببيدأ اي فإواء النار . (وان كثيراً ليلضون باهوائهم) اي باتباع اهوائهم وقال تعالى (أو كالذي استهوته الشياطين في الأرض)

فهذه الآيات صريحة في التحذير من الانجراف بتيار الأهواء والشهوات واتباع خطوات شيطان الماطنة الحقاء حيث يهوى بالإنسان الى مصرع السوء ويلقى في النهاية جهنم عذاب

وغربي أفريقيا واليمن - فلاءت البدو والحضر في اوربا وآسيا وافريقيا وامريكا (ان شاء الله)

ولا تنس ان مقابل اولئك الفلاسفة التزميتين الذين قاطموا اللذات وتخرجوا من مفاقرها - يوجد فلاسفة آخرون أفرطوا في ما ذهبوا اليه كما أفرط خصومهم ، فهؤلاء يرون اطلاق المرء لنفسه العنان وان يمكنها من كل ملذات الحياة، يرون ان الإنسان في هذه الحياة انما خلق ليتنعم ولم يمنح العقل الا ليبحث له عن وسائل التمتع وطرقه، فهو لذلك يبس اللذائذ عبا ويكرع من مجرها بأفراط ، وينهمك في مفاقرها ما استطاع . وهذا ضار بالفرد هادم للمجموع ، فلو أجمنا لكل انسان ان يتلذذ كما يشاء والقينا جبل الفرد على غاربه يعبت كما توحى له اهواؤه ما انتظم شأن مجتمع ولتعارضت شهوات الأفراد وكانت الفوضى المطلقة. وان جمعية افرادها ليسوا اعفاء اعنى انهم لا يحكمهم الا اهواؤهم وشهواتهم الجنسية - لتحمل معها بذور الانحلال والانحطاط . وهي آتلة الى الدمار والتمزق لا محالة - وفضيلة العفة تتطلب من الانسان القصد في اللذائذ ، فان هو أفرط فانهمك في شهواته أو فرط فاماتها وبالغ في الزهد فقد حاد عن سواء السبيل وابتعد عن نهج الاسلام الشريفة السمحة التي ترى خير طريق في الحياة ان نبيل المرء نفسه ملذاتها الطيبة وبطبيها مشتبهياتها ما لم تخرج عن حدود الاخلاق فذلك ادعى الى نشاطها واقرب الى طبيعتها، انما يجب ان لا تتجاوز الحدود المشروعة فق داخلها من اللذات ما هو اضمن للسادة الفردية وسلامة المجموع ونبراس ذلك الآيات الكريمة (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)

(يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فن اضطر فغير باغ ولا ماد فلا اثم عليه)

(يا ايها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)

الخطيئة وسوء مغبة الأجرام رعابته. وكما قدمنا ان الجرائم مبيها الانصياع لرغبة الاهراء والشهوات الجامعة التي حذرنا الاسلام من موبقاتها وأب الكارعين من اقتدار حماها واقدم حاول الأسلام ان يدينا بالصوم على عصيان الهوى وطاعة العقل، وكان الأسلام حاول ان يكبح بالصوم مجاح النفس ويصدمها ويما كس اهواها فهو بدلا من ان يساير فاسفة هؤلاء المذنبين انفسهم ويتبهما على طول الخط - خصص فترة من الزمن لحرمان النفس من اهوائها وتصيرها على المكاره وخشونة العيش، وعلم المرء كيف يقاومها ويجر لجامها وينهرها ويصرخ في وجهها، فكانه عشى مع مبدأ الأتماذ (جيمس) القائل بأنه يجب ان نحافظ على قسوة مقاومة المصائب إذا كان حينها - بل الحق ان هذا الفكر القربى هو الذى اقتبس فلسفته من الأسلام أخذها من حكمة الصوم؛ فأوريا مدينة للإسلام فى يقاقتها ورشدها وهدايتها ومنه اخذت الثور والحضارة، وفلاسفتها تلاميذ على فلاسفة الأسلام كابن رشد والنارابى وابن سينا ونصير الهين الطومبى وغيرهم

وكيفما كان الأمر فان الأسلام الذى حاول بالصوم تعليم اتباعه ضبط النفس لم يقصد بذلك القضاء على الرغبات والشهوات كما ظن الضالون من الصوفية فقد صرخ الأسلام بتبته (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وأما اراد وحاول تهذيبها واعتدالها وجمالها خاصة لحكم العقل، فق القضاء على الشهوات قضاء على الشخص وعلى النوع الأنسانى وفى اعتدالها سمادتهما ما

وعلى كل حال اننا بالصوم تعلم احتمال مكاره الحياة ومشاقها وجوعها وعطشها وحرمانها، ولم يقصد بهذه العبادة ان نضل ونفرط فى تعذيب النفس بالجوع بل دعا الأسلام ان نكون أمة وسطاء؛ فى الوقت الذى اباح لنا التمتع بنعم الله وطيبات الرزق ازاد ايضا ان نواسى الفقراء والموزين واليتامى والنبوذيين فى جوعهم والأمهم ليشر الأغنياء بما يلاقى البؤساء من مفض الحياة الرة وقسوة أحكامها الصارمة أحيانا على الفقراء والأرامل. وقد كان الأمام على (ع) يكرر طلب ذلك من المسلمين فى خطبه فى جامع الكوفة ويستشهد بقول الشاعر

وحسبك داء ان تنام بيطنة وحولك اكباد نحن الى القد
والقد هو سير يقدر من جلد غير مدبوغ وهذا كتابة عن فرط
جوعهم حتى أنهم ليشتهون ويحتمون الى اكل الجلد اليابس. لقد
حاول الأسلام ان يجيع الأغنياء ليذكهم بجياع الفقراء واليتامى
الموزين حتى يواسوهم، وبذلك يزرعون فى قلوبهم حبهم والميل اليهم
فلا تبق هذه الفترة بين الطبقات وتنقى وتندم أسباب الثورات
الشيوعية كما حدثت ثورة القرامطه مؤلفة من الزوج الذين كان
يرهقهم أسياهم، وقد حض الأسلام على اطعام الفقراء قال الطبرسى
فى تفسير الآية الكريمة (وعلى الذين بطيقونه فدية طمام مسكين)
خير الله العاليفين للصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا
يكفروا، وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم باطعام مسكين
لانهم كانوا لم يتمودرا الصوم ثم نسخ بقوله فن شهد منكم الشهر
فليصمه. هذا مضافا الى ما امر به الأسلام من الصدقات

لقد حاول الأسلام ان يبيش الناس اخوانا، ودعانا الى أن نتجرع
نكد العيش اختياراً حكماً نافذاً على الجميع - من دون
تفريق إلا بالمرض والضعف، وأن نذوق بؤس الحياة بالصوم اختياراً
حتى لا يصبرنا إذا حملناه كرها؛ ولكنه اشترط لصحة الصوم
أن لا يؤذى صاحبه لمرض فيه ولا يهدم بنيته بآثاره، فهى أن
يتجرع كأس الصوم المرضى والمسافرون الذين تكفيهم غربتهم
فى اتماهم وترويض انفسهم على مشاق الحياة وجشوبة العيش
وخشونته ونبراس ذلك الآية الكريمة :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان؛ فن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً
أو على سفر فعدة من أيام أخر. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر) ولا يد أن تستعجل رأى الطب الحديث فى الصوم ... لقد
أجرى العلماء تجارب عديدة على الحيوانات لمعرفة تأثير الصوم فيها.
وقد ذكرت تلك التجارب فى كتب الفسلجة والكيمياء الحيوية
المطولة. ويتلخص رأى الطب الحديث فى أنه يرى الصوم واسطة
لأراحة الجهاز الهضمى وإذابة الشحوم الزائدة فى البدن، إذ أن
الجسم يستهلكها عند انقطاع الزاد الخارجى - فى توليد الطاقة
الحرارية، وإذن فإن الجسم يستريح من الشحم الزائد ويكتسب
البدن رشاقة النزال الأهيف وخفة حركاته. وكذلك فان جسم

الفائض عن حاجته من الأغذية ويمده لليوم الأسود؛ فليس الجسم يحترق أثناء الصوم الدهون الداخلة في تركيب كيان الحجيرات الجسمية والمكونة لمادة البروتو بلازم. أهداما يذكر في كتب الفسلجة وفي كتب الطب ذكروا الصوم كعلاج للسمنة المفرطة كما ذكره (سافيل) في كتابه في الطب التشخيصي وذكر (نايلار) في كتابه في مزاولة الطب إن المصابين بالسمنة الزائدة يصومون في فترات تمتد عدة أيام وقد سمح لهم بالخضف قطع الفواكه الطرية الجديدة مع قليل من السمك. وطبما أن هذا في حالة امتداد الصوم لمدة أيام فهو أشد من الصوم الاسلامي الذي ينتهي أمده في نهاية اثنتي عشرة ساعة فقط فلذلك سمحوا له بقليل من الأغذية. وذكر الصوم كعلاج للسمنة في كتاب (برايس) في ممارسة الطب الذي ألفه جماعة من كبار الأطباء وقد جاء فيه: لمعالجة السمنة الطفيفة يحدد تناول النشويات والدهنيات مع القيام الزائد بالرياضة الجسمية وهذا هو أساس العلاج المنسوب إلى (باتينيك) وهذا هو رجل انكليزي عاش (١٧٠٧ - ١٨٧٨ م) وابتكر طريقته في معالجة السمنة، ويعتمد علاجه على استخدام الصوم من الأغذية بنظام خاص. ويستمر المؤلف في وصف للسمنة المفرطة صوماً أشد. ولسنا بمقام التفصيل وإنما أردنا تقرير أن الطب اعتمد على الصوم اجمالاً في معالجة السمنة.

ضياء الدخيلي

كلام صلة

الصائم بسطو على ما اختزن من السكريات فيستهلكها. والجوع يرهق الحواس؛ ألا ترى أن الوحوش تضرب إذا جاءت وتستيفظ فزاها الحيوية للاقتراض وخوض مارك الحياة؟ والأم تنهض للفتح والغلبة ونهب خيرات غيرها إذا شحت أرزاقها فجاعت. وترى قبائل البدو في الصحراء العربية تشن غاراتها غازية من تنور في يدها الأنعام إذا أجذبت البادية. ولقد قامت القبائل العربية بأكبر غزو عندما جمع شملها تحت لواء الدعوة الإسلامية - فذكت امبراطوريتي فارس وروما وبسطت جيوشها على القسم المعمور من الأرض في قبة وجيزة، وعبرت من أفريقيا البحر إلى أوروبا فاستولت على اسبانيا وتوغلت في فرنسا وحكمت نصف ايطاليا الجنوبي واستولت على ممرات جبال الألب وسنت غاراتها على أواسط أوروبا في سويسرة - هذا في الميدان الغربي - أما في الشرق فقد ضربت حدود الصين وأخضع العرب أمم آسيا وبسطوا نفوذهم على القسم المعمور المتمدن منها ومن شمال أفريقيا. ولو دققنا النظر لوجدنا أن العامل البيولوجي الذي حفز العرب وأنهمضهم إلى الغزو هو شح بلادهم وجديها. وقد هدام الإسلام يشرمته القويمة إلى الطريق المستقيم وأتقدم من الفوضى والفتنة ووحدهم ودفع بهم إلى ينابيع الثروة في أخصب بقاع الأرض ليتخلصوا من جذب الصحراء وجوعها وعطشها. وهذا هو ما قالته السيدة الزهراء (ع) للعرب من أنصار ومهاجرين عندما خطبت يوم السقيفة في المدينة بعد وفاة أبيها الرسول (ص) فكان فضل الجوع على الانسان جليلاً فهو الذي يفتح البقريات الراقدة - والحاجة كما قيل أم الاختراع - هذا من الوجهة الأدبية أما من الناحية الفسلجية الطبية فان هليبرثون يقول في كتابه في الفسلجة في بحث الجوع ان الجسم يحترق في صومه المواد السكرية المخزونة فيه ويستهلك بتفتير النشأ الحيواني ولا ينال النقص القسم المخزون منه في العضلة القلبية وباقي العضلات، ولسكن الشحم والدهن يحترقان بصورة واسعة وبمعيان أخيراً للبع الوحيد للطاقة الحرارية، وأن الذي يحترق من المواد الدهنية من بدن الصائم هو الجزء المخزون في المتودعات وفي عملات اختزانه لوقت الحاجة وذلك كما في الثرب وتحت الجلد وبين طبقات الأمعاء تلك الواضع التي اعتاد البدن أن يحفظ فيها القسم

وظائف خالية لمعاونين صحيين

الادارة العامة للصحة المدرسية في
حاجة لمعاونين صحيين للعمل بالناطق
التعليمية - وتقدم طلبات الاستخدام على
الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح . برسم
حضرة صاحب المزة المدير العام
للصحة المدرسية شارع عبد العزيز
رقم ١ في موعد نهايته شهر
يوليو سنة ١٩٥٠ ٥٣٦١